

## الفصل السادس

### [ المحاولة الأولى ]

في اليوم التالي، ومنذ نهوضنا وحتى وصولنا للمنجم، أبقيت عيناى مفتوحتان لكل تفصيلة ولو صغيرة قد أكون غفلت عنها سابقاً.. بحثت عن منفذ أستطيع الهرب من خلاله، أو ثغرة أستطيع الانسلال منها دون لفت الانتباه.. عندها قد يستغرق الحراس وقتاً لإدراك هروبي، ثم إدراك أن السوار في يدي لا يعمل كما يجب.. عندها ولا بد سيرسلون فرقة للبحث عني، لذلك يجب أن أكون قد ابتعدت بما فيه الكفاية قبل تلك اللحظة..

لاحظت، أثناء سيرى، أن بسمة تسير برفقة أمجد وتتبادل الحديث معه ببساطة.. يبدو أنها قد اطمأنت له أكثر من اللازم في هذه الفترة القصيرة.. ولماذا يجب أن أهتم؟ على الأقل، لن أخشى عليها بعد غيابي، رغم أنني لا يجب أن أهتم بهذا مع ما سأواجهه من الآن فصاعداً.. طوال اليوم، شحذت حواسي في محاولة للوصول للوسيلة المثلى للهروب، لكنني لم أفلح في ذلك.. ومع ذلك، بدأت استعدادي لخطتي هذا اليوم.. في فترة الغداء، لم أتناول إلا جزءاً يسيراً من طعامي وتركت الباقي جانباً.. وعند المغيب، أثناء خروجنا من بوابة المنجم، سألني أحد الحراس وهو يجذب علبة الطعام من يدي "ما هذا؟"

قلت مقطبة "غداي.. لم أتمكن من إتمامه كله فادخرته للعشاء.."  
فقام بفتح العلبة وتفتيشها جيداً وأنا أقول بعصبية "لا تلوث طعامي بيديك.."  
لكنه لم يعبأ بي وهو يحول الطعام إلى خليط متجانس لا يُعرف ما يحتويه حقاً، ثم أعاده لي بغير اهتمام وهو ينتقل لتفتيش غيري.. تظاهرت بالغضب وأنا أتمتم غاضبة وأحمل العلبة بيدي عائدة للمساكن.. فاقتربت مني بسمة مغممة "لا تغضبى.. لو كنت جائعة سأعطيك جزءاً من عشائي إن كان سيكفيك.."

قلت لها بابتسامة "لا داعي لذلك.. لا تقلقي لأمرى.."

في اليوم التالي كررت الأمر ذاته، وكرر الحارس تصرفه ذاته أيضاً.. وفي كل مرة كنت أظهار بالغضب والحدة من تصرفه، وأنصرف محنقة بطعامي المعجون عجباً..

استمر حالي هذا أسبوعاً كاملاً.. أقضيه في العمل في المنجم بصمت، الخروج والتدزم عند البوابة أثناء تفتيشي وتفتيش علبة طعامي، وقضاء بعض الوقت مع الثلاثة الذين أصبحوا دائماً يجتمعون في ذات الزاوية المنعزلة من الساحة يتحدثون في أمور شتى.. فأجلس قربهم وأنا صامته وعقلي يهدر

كالعادة في عالمه الخاص.. عالم خالٍ من الروتين..

وبعد أسبوع، أو ستة أيام بالتحديد، حانت اللحظة التي انتظرتها طويلاً.. مررت قرب البوابة والحارس يقوم بتفتيشي كالعادة مع الجميع، لكنه تجاهل علبة طعامي وهو يشير لي لأغادر.. كدت أقفز فرحاً، لكنني عوضاً عن ذلك مددت العلبة تجاهه وأنا أقول بلهجة متذمرة "ألن تفتش طعامي كالعادة؟" قطب وهو يزجرني لأبتعد.. فغادرت على الفور وأنا أكتم ابتسامة من الظهور على شفتي.. ومع ذلك لم أستسلم لهذا النجاح الصغير.. بل كررت فعلي يومين آخرين حتى تأكدت أن الحارس لا يعبأ بطعامي وما يحتويه..

وطبعاً لا أنسى التعليقات التي طالتني من أدهم وهو يرى طعامي الذي لا ألسه بعد أن تطاله يد التفتيش وهو يتذمر قائلاً "مادمت لا ترغبين بغدائك، لم لا تحتفظين به لي عوضاً عن رميه في كل مرة؟.."

قلت له "ألا تكف عن الجشع أبداً؟ أعتقد أن الطعام الذي يقدم لك يكفيك، وهذا مفيد لتفقد القليل من وزنك هذا"

قال بحدة "أنا لست سميناً.. هذه عضلات.. ألا تفهمين؟ لا يمكن تخفيف العضلات بتقليل الطعام..". فقلت "كف عن التذمر.. هذا خطأ الحارس الذي يفسد الطعام في كل مرة.. ولو لم يفتشه، لأعطيتك إياه بكل سرور.."

لذلك، يمكنكم تخيل سعادة أدهم وهو يتناول طعامي الذي لم يمسه الحارس في هذين اليومين.. حقاً هذا الرجل جشع جداً..

وأخيراً، في اليوم الذي خططت له، خرجت من المنجم مع المغيب وقلبي تزداد طرقاته مع كل خطوة أخطوها نحو البوابة.. حاولت أن أرسم الحنق على وجهي ككل مرة، وأن أكف يدي عن الارتجافة التي كادت تفضحني.. فغطيت ارتباكي بتدمري الواضح وهو يقوم بتفتيشي، ثم أشار لي بالرحيل كالعادة مؤخراً.. رغم خشيتي من أن ينفضح أمري، لكنني، وفي لحظة مجنونة، مددت علبة الطعام تجاهه وأنا أقول بصوت متذمر "ألن تفتشها أيضاً كالعادة؟"

نظر الحارس للعلبة للحظات كاد قلبي يقف فيها.. ستكون كارثة لو قرر الحارس أن يفتشها هذا اليوم، لكنه سرعان ما زجرني كالعادة لأسرع الخطى بعيداً وأنا أكتم أنفاسي قبل أن تفضحني تنهيدة ارتياح.. سرت ساهمة وأنا أحمل العلبة بيد ترتجف للانفعال الذي مررت به، وكدت أقفز في مكاني عندما سمعت من ينادي اسمي.. التفت خلفي باضطراب لأرى أمجد يراقبني بدهشة وهو يتساءل "هل أنت على ما يرام؟ وجهك محمر للغاية.."

خففت وجهي وأنا أتمتم بعذر غير مفهوم، واستدرت أكمل طريقي نحو المساكن.. فقال وهو يسير

قربي "هل حدث لك شيء اليوم؟ هل أصبت بالمرض؟"

سارعت أنفي الأمر وأنا أحاول تمالك نفسي، ثم قلت بابتسامة حاولت رسمها على شفتي "لا تحمل همي.. أنا بخير.. فقط متعبة أكثر من العادة اليوم.."

وعندما وصلت للمساكن، سارعت لمسكني متجاهلة أدهم الذي ناداني، فقلت له دون أن ألتفت "اعذرني اليوم، لا أستطيع منحك طعامي هذه المرة.."

وأغلقت باب مسكني خلفي وجلست على السرير أحاول تمالك أنفاسي المتلاحقة.. ثم بيد مرتجفة، فتحت العلبة، وأزحت الطعام الذي لم أمسّه ظهراً، لأخرج الأحجار السوداء الصغيرة من تحته.. كانت صغيرة الحجم جداً بحيث لا تبدو من تحت الطعام، فسارعت لحملها وتنظيفها من بقايا الطعام، ثم خبأتها تحت سريري جيداً بعد أن لففتها في أحد ملابسي.. وجلست على السرير مجدداً أتهدد فكرة في الإنجاز الصغير الذي حققته..

في المساء، عزمت أخيراً على أن أشرك البقية في الأمر.. فسرت حتى وقفت أمام أمجد وأدهم وبسمة حيث جلسوا منعزلين عن الآخرين، وقد استغربت بقاء بسمة مع أدهم في موقع واحد.. لكن يبدو أن أمجد يزيل خوفها نوعاً ما فلا ترى غضاضة من مشاركتها الحديث حتى لو لم أكن موجودة..

فور وصولي ابتدرني أدهم قائلاً "ظننتك قد نمت.. هل غيرت رأيك؟"

تلفت حولنا أبحث عن أي متنصت قريب منا، فيما أضاف هو بسخرية "شكراً على الطعام.. كان لذيذاً بحق.."

فقلت معلقة "لا تقلق.. سأمنحك فطوري كتعويض"

ثم جلست جوار بسمة وأنا أميل تجاههم هامسة "أنا سأهرب.."

تطلعوا لي بعدم استيعاب تحول لصدمة خلال لحظات، قبل أن يقول أدهم ضاحكاً "استسلمي يا فتاة.. ألم تري ما حدث للأغبياء الذين فكروا بذلك؟"

قلت له مقطبة "هل أنت راضٍ عن حياتك هذه؟ هل ستقضي ما بقي من عمرك كعامل سخرة بلا أجر ولا حقوق؟"

تساءل أمجد "وما ستفعلينه هو البديل الأفضل؟"

قلت بحزم "بالنسبة لي، أجل.. أن أهرب مع ما في ذلك من مخاطر خير لي من أن أعيش في دوامة مملة كهذه.."

فعلق أمجد "هذا غباء منك.. كل ما ستواجهينه هو بضع شحنات كهربية ثم العزل لأيام طويلة قبل العودة لهذه الدوامة من جديد.."

فقلت "لم آت لاستشارتكم في خطتي، بل لأسألكم.. هل يود أحدكم المجيء معي؟"

فقال أمجد "ليست لي النية في الهرب.."

علق أدهم ماطاً شفثيه "أكره تلك الشحنات الكهربائية.."

أما بسمة فقالت برجاء "أرجوك.. لا تفعلني هذا يا حمراء.."

وقفت قائلة "إذن.. شكراً لكم على كل شيء.."

وابتعدت عنهم بسرعة قبل أن يحاول أحدهم الاعتراض.. لم أَلجأ للهرب في تلك اللحظة، بل انتظرت  
فباللحظة المناسبة لم تأتِ بعد..

قمت بدورة واسعة حول المساكن أراقب كل شيء حولي، وإن حاولت أن أبْدو كمن يتمشى لئلا أثير  
شك الحراس المتناثرين حوله.. وبعد أن انتهيت، عدت وأنا مشغولة الفكر بما عليّ فعله، وقد كان أغلب  
السجناء قد أووا لمساكنهم استعداداً ليوم شاق جديد.. ولكن ما إن اقتربت من مسكني حتى رأيت  
أمجد يجلس قربهِ، ولما رأيته وقف وهو يقول "ظننتك قد هربت حقاً.."  
سألته بدهشة "ما الذي تريده في هذا الوقت المتأخر؟"

قال مقطباً "أحقاً أنت عازمة على الهرب؟ اصرفني النظر عن ذلك.. فهذا سيضرك أكثر مما  
سيفيدك.."

قلت بصرامة "هذا شأن خاص بي.. رجاء لا تتدخل في أموري ولا يحق لك ذلك.."  
قال بشيء من الضيق "لم لا يحق لي ذلك؟ أنا قلق عليك.. فمما رأيته، ستواجهين مصيراً أسوأ من  
بقاءك في هذه الدوامة المملة كما تقولين.. لو كان الهرب مجدياً لكنتُ أول من قام به.."  
علقت قائلة "ليس ذنبي أنكم مستسلمون لمصيركم هذا.. ولن يجبرني استسلامكم على فعل المثل.."  
فقال بحدة "ما الذي ستفعلينه بعد الهرب، هذا إن سلمنا بقدرتك على الهرب دون أن يفقدوك الوعي  
كما يفعلون عادة.. ما الذي تنتوين فعله في هذا الكويكب المقفر؟ إلى أين ستهربين؟ وكيف ستعودين  
للأرض؟ لا تقولي لي إنك تنوين التسلل للسفينة الفضائية.. الهرب من المساكن شيء واقتحام المباني  
الإدارية شيء آخر.."

قلت "لست مجبرة على قول شيء مادمت غير راغب بالهرب معي.."  
واستدريت لأدلف مسكني، لكنه أمسك ذراعي يستوقفني قائلاً "حمراء.. أرجوك أعيدي النظر فيما  
تنتوين فعله.. لا أريد رؤيتك تتضررين بهذا الفعل وأنا واثق أن هذا ما سيحدث"  
قلت وأنا أجدب ذراعي "لماذا؟ ما شأنكم أنتم إن رحلت أم بقيت؟.. لا يجمعنا إلا بضع أيام قضيناها  
معاً دون تفاعل حقيقي.. فلماذا تعترضون بهذه الطريقة؟"

أجاب "أخبرتكَ أننا نهتم بك.. فما الغريب في هذا؟ أليس إيواؤك لبسمة في مسكنك اهتمام منك  
تجاهها؟ أليس تنازلك عن فطورك لأدهم اهتمام منك تجاهه؟ أليس في دفاعك عني رغم العقاب

اهتمام منك تجاهي؟ فلماذا تستغربين أن نبادلك ذلك الاهتمام؟”  
 قلت بحزم “لم أطلب منكم رداً على ذلك.. ثم إن الاهتمام لا يعني أن تقيدوني وتطمسوا إرادتي.. أنا عازمة على ما سأفعله.. ولم أسألكم أو أخبركم إلا لأتجنب لومكم في حال كان هذا ما ترغبون به..  
 لذلك، أرجو ألا تجعلوني أندم على مصارحتي لكم بذلك”  
 واستدرت محاولة دخول مسكني من جديد، لكنه أدارني مرة أخرى وأمسك كتفي قائلاً بشيء من الحدة “لماذا أنت عنيدة هكذا؟ أتظنين أننا سنكون أسعد حالاً برويتك تفشلي وتتاين العقاب على هذا؟”

قلت له بحزم وأنا أدفع يديه عني “رجاء.. لا ترفع الكلفة بيننا بهذه الطريقة.. فأنا أكره ذلك.. وحديثنا منتهٍ منذ مدة”  
 وغادرت تاركة إياه بدهشة من تصرفي.. أخبرتكم، أكره من يرفع الكلفة بيننا دون إذن مني..

\*\*\*\*\*

كانت الأنوار قد أطفئت منذ مدة طويلة، عدة ساعات على الأقل، عندما نهضت من سريري وحملت عدتي القليلة.. كنت قد تأكدت من فرك سواري بطبقة غليظة من غبار الأحجار السوداء ما أمكنني قبل انقطاع الأنوار، وكل ما عليّ فعله، مع صعوبته، هو الحفاظ عليه بهذا الشكل.. ولففت ما بقي من الأحجار في خرقة في جيبي لوقت الحاجة، وفي الجيب الآخر وضعت مصباحاً صغيراً استطعت تهريبه من مستودع المساكن.. حيث في جانب المساكن هناك مستودع صغير يحوي بعض العدة لمواجهة الطواريء.. ولأن أمجد يستطيع أن يدلف المستودع لجلب ما يلزم كما رأيت من قبل، فقد تحايلت عليه للحصول على مصباح صغير، وذلك قبل أن أفصح له عن نيتي للهرب..  
 لم أكن أملك إلا علبة عشائي وعبوة ماء واحدة.. تلك مؤونة هزيلة، لكن لم أستطع الاحتفاظ بأكثر من هذا.. لذلك، وبهذه العدة القليلة وبعزيمة كبيرة، خرجت من مسكني وأنا أتأمل ما حولي خوفاً من الأعين المتلصصة.. كان من النادر أن نجد من يظل مستيقظاً بعد نهار شاق من العمل، لذلك اطمأننت أن أحداً لن يكشفني، لو أحسنت التخفي عن الحراس..

سرت بخطوات خافتة بين المساكن، حتى وصلت لآخر مسكن حيث لا يفصلني عن الغابة خلفه إلا بقعة صغيرة يقف فيها حارس غير منتبه وجهاز مراقبة على عمود عالٍ.. كان أقرب الحراس متشاعلاً بسيجارة نفت دخانها بهدوء لا أستطيع لومه عليه.. الليل طويل والهدوء قاتل والعمل ممل ولا شك.. ربضت في موقعي خلف آخر مسكن، وأخرجت من جيبي مقلاعاً بدائياً صنعته بنفسني باستخدام

فرع شجرة يحمل تقويساً مناسباً، وربطت عليه حبلًا مطاطياً انتزعته من إحدى المعدات بغفلة عن الآخرين.. والآن فقد وضعت حجراً صغيراً وأمسكته بالحبل المطاطي وأنا أوجهه نحو شجرة بعيدة قليلاً عن الحارس..

أطلقت الحجر الأول ليصيب فرع شجرة على شيء من المبعدة من الحارس.. فالتفت بحذر ينظر لموقع الصوت بتعجب.. ثم التفت لأقرب الحراس منه متسائلاً "أكنت أنت مصدر هذا الصوت؟" قال الحارس الآخر بحيرة "لست أنا قطعاً.."

تناهى لسمعهم صوت آخر يبعد القليل عن الموقع الأول، فاندفع الحارس إليه مغمغماً "قد يكون أحد السجناء يحاول الهرب.."

لم يبد أن تلك الملاحظة قد أعجبت الحارس الثاني وإن ظل صامتاً رافعاً سلاحه بتأهب.. ولما تكرر الصوت في جهتين أخريتين غالب تردده وسار بخطوات حذرة نحو الغابة المتشابكة الأشجار، فدفع سلاحه يزيح به بعض الأفرع وهو يراقب ما حوله بحذر..

عندما رأيت الحارس الثاني يتوغل قليلاً في الغابة شددت عزمي، فنظرت لأقرب الحراس الباقين مني، والذي كان على مبعدة وقد أولاني ظهره يعبث بلعبة الكترونية في يده، فخفضت رأسي وبدأت التسلل بحذر وسرعة نحو الغابة وأنا أتأكد أن نور أقرب المصابيح التي تكشف بقعة واسعة من المساكن لا تسقط علي.. لقد اخترت هذه البقعة بالذات بسبب قصور المصابيح عن تغطيتها بشكل كامل، وتبعد الحراس الذين يراقبونها، خاصة وقد لاحظت أنهم يتقاعسون عن إحضار تلك المناظير الضخمة التي أخبرني أمجد أنها للرؤية الليلية تحسباً لأي طاريء..

كنت قد وصلت للغابة مجتازة الأمتار القليلة التي تفصلها عن المساكن بعد دهر، فاندفعت بين شجيراتهما بسرعة وقاومت لئلا أصدر أصواتاً أجذب بها مزيداً من الانتباه..

قد تظنون خطتي ساذجة حمقاء.. لكن لأنها ساذجة بالذات فقد أيقنت أنها ستنجح بكل تأكيد.. أولاً لأن الحراس لن يتوقعوا أن يحاول شخص ما الهرب بخطة هزيلة متواضعة، وثانياً لأن آخر محاولة هرب قد مضى عليها وقت طويل والحراس قد أيقنوا أن السجناء عازفون عن تكرار مثل تلك المحاولات.. لذلك فهم مترخون في عملهم ولا يشددون المراقبة على المساكن، أضف لهذا أن السوار يغنيهم عن القلق ويوفر عليهم كثيراً من الجهد..

أما بالنسبة لأجهزة المراقبة، فلا بد أنها قد رصدتني ونقلت صوري للإدارة في اللحظة ذاتها، لكن بهم ذاك؟ كل ما سيفعلونه هو محاولة رصد سوارٍ لإطلاق تلك الشحنة الكهربائية التي ستسقطني فاقدة للوعي، وستمر لحظات طويلة قبل أن يكتشفوا اختفاء الإشارة الصادرة من سوارٍ من أجهزة الرصد لديهم.. المهم الآن أن أهرب قبل أن يكتشف الحراس أن سوارٍ لا يعمل كما يجب وأنهم

مضطرون للحاق بي وإمساكي بأ.....

كتمت شهقتي وأنا أقف فجأة مع مرأى الجسد الأسود الذي ظهر أمامي ساداً الطريق، ثم أضيء مصباح في وجهي وأنا أسمع صوت الحارس وهو يهتف بي "اللعنة.. ما الذي تفعلينه هنا؟" كان سلاحه موجهاً نحوي وقد رفعه باستعداد، لكنني اندفعت نحوه فجأة وأمسكت السلاح بيدي ودفعتة للوراء بأقصى ما أستطيع.. فضرب وجه الحارس بقوة، ولم يكن ذلك إلا لأنه فوجيء بفعلتي الذي لم يتوقعه البتة.. في الواقع أنا نفسي لم أتوقعه، ولست أدري من أين لي بالشجاعة لفعل كهذا.. استغرق الحارس ثوانٍ لاسترداد توازنه استغللتها في الهرب قبل أن يمسك بي وتغللت بين الأشجار الكثيفة مغيرة طريقي بين فترة وأخرى.. سمعت صياحه الغاضب خلفي.. لابد أنه سيستدعي رفاقه خلال دقائق ويمتليء المكان بالعشرات منهم..

تسارعت خطواتي أكثر متحولة لركض سريع وأنا أكاد لا ألمس الأرض لشدة توتري الممزوج بلهفة.. أنا طليقة.. أخيراً غدت طليقة.. صحيح أن هذا كان أقل وأيسر متاعبي، إلا أن الشعور بالحرية كان أجمل من أن أنشغل بالتفكير في ما ينتظرني في الساعات والأيام القادمة.. لم أجروء على إضاءة المصباح في هذا الوقت خوفاً من أن يرى في المساكن أو المنجم القريب، وطبعاً لئلا يراه أحد الحراس الذين ولاشك توغلوا في الغابة بحثاً عني، وسرت اعتماداً على ضوء القمر محاولة عدم التعثر والسقوط في هاوية أو حفرة.. استمرت أشق الغابة التي لا أعلم مداها، وقد عزمت على انتظار النهار في أي مخبأ أجده حتى طلوع النهار..

بعد مدة طويلة، وجدت الأشجار تنشق عن صخور على شيء من الضخامة، مكونة جبلاً صغيراً يحوي بعض المخابيء المظلمة في ثناياه.. درت حوله للحظات أتأمل المخابيء بحذر، ثم اخترت واحداً بعيداً عن الأعين، وأضأت مصباحي أتفحصه بدقة.. كان ذلك للتأكد فقط من خلوه من أي هوام، رغم أنني لم أسمع، أو أر منذ مجيئي أي كائن حي بخلاف البشر.. لا حيوانات، أو طيور، أو حتى حشرات مهما كان نوعها.. ومع ذلك الحذر لن يضر..

بعدها حشرت نفسي حشراً في ذلك المكان الضيق وانطويت فيه مستغلة الصخرة المائلة فوقه والتي ستمنع أي عين من رؤيتي، وزفرت وأنا أنتظر مطلع الشمس..

كنت شبه واثقة أنهم سيبحثون عني في الغابة ولن يدور بخلدهم أنني قد أتجه للمباني الإدارية بثقة رغم خطورة ذلك.. كان أمني الوحيد هو في النجاح بالتسلل لإحدى سفن الفضاء التي لا تنقطع رحلاتها بين يوم وآخر من ملاحظتي لها.. والمفترض، كما أتوقع، أن تنطلق رحلة غداً.. لذلك عليّ اليوم النجاح في التسلل للساحة التي تحوي مهبط السفن الفضائية، ومنها للسفينة والبحث عن موقع مناسب لاختبائي..

لم أستسلم للنوم، رغم تعبتي الشديد، لأن الحماس الذي أشعر به قد جعلني متوترة وأطار النوم من عيني.. كما أنني يجب أن أنطلق مع خيوط النور الأولى، قبل أن يغدو البحث عني مع مطلع الشمس أكثر سهولة..

مرت مدة طويلة وأنا جالسة في صمت شديد.. لن تعرفوا معنى الصمت حتى تكونوا في موقعي.. حيث لا أشعر بأي كائن حيّ قربي.. لا صرير حشرات، ولا رفيف أجنحة، ولا حتى حفيف أشجار مع غياب أي نسيم يحركها.. كان السكون شديداً جداً، ومع نور القمر الذي يصبغ كل شيء بلون فضي شاحب، بدا كأنني أرمق لوحة فنية متقنة، ولا يبدو أنني أجلس وسط هذه الطبيعة بأي حال.. لذلك، تنهدت براحة عندما رأيت النور يزداد شيئاً فشيئاً عند الأفق، ونهضت بعسر من جلستي وأنا أحمل عدتي القليلة.. في البدء، ارتقيت الجبل الصغير الذي يرتفع عن مستوى الغابة قليلاً، ونظرت حولي.. كانت الغابة تشكل بحراً من اللون الأخضر حولي مع قليل من الصخور الضخمة المتفرقة.. وخلف هذا البحر يبدو مسطح من الصخور الجرداء حيث في جانب منها يقع المنجم الذي كنت أعمل فيه..

نزلت من موقعي بعد أن تأكدت من المسار الذي يجب أن أتبعه، وحثت السير في الغابة وأنا حذرة من مقابلة أي حارس فالمواجهة لن تكون في صالحني البتة.. الطريق أمامي طويل جداً.. وخاصة بعد أن اجتاز الغابة وأشرع بالسير في المساحات الصخرية التي تفصلها عن المباني الإدارية.. علي الحذر الشديد عندها لأنني سأكون مكشوفة تماماً..

\*\*\*\*\*

تأملت المكان حولي، كنت الآن أقف خلف شجيرة صغيرة تخبئني عن الأنظار، أراقب السور الذي كان عبارة عن أسلاك حديدية تحيط بالمباني الإدارية.. وفي جانب من الساحة الكبيرة المحيطة بالمباني يقع مهبط السفن الذي لا يستقبل إلا سفينة واحدة كل مرة.. وهناك تربض سفينة مشابهة للتي قدمنا فيها وحولها مجموعة من الحاويات الضخمة تحوي الأحجار السوداء.. لابد أنهم سينهمكون اليوم في تحميل هذه الحاويات في السفينة تمهيداً لإقلاعها غداً.. ومن مراقبتي للسفن في إقلاعها فإن برنامجها لا يتأخر يوماً واحداً أبداً.. لذلك فإما أن أنجح في التسلل إليها الليلة أو أفشل في ذلك للأبد، فلا أعتقد أنني سأقدر على التخفي عن الحراس ليومين آخرين حتى تقلع سفينة أخرى دون أن يقبضوا علي.. جرعت القليل من الماء الذي أحمله، ونظرت لما تبقى في العبوة من ماء قليل بعد أن استهلكت معظمه في طريقي إلى هنا.. ثم تقدمت بحذر بعد أن تأكدت من عدم وجود أجهزة مراقبة قريبة.. كانت مسافة



قصيرة تفصلني عن السور الحديدي، والذي رغم ما يبدو عليه من سهولة ارتقاؤه، إلا أنني لست مطمئنة تماماً أن الحياة يمكن أن تكون بهذا الجمال والبساطة..

سمعت صوتاً عالياً قبل أن أصل للسور، فنظرت عبر السور بتوجس لأجد ثلاث عربات تخرج من بابها الرئيسي تحمل عدداً من الحراس، ويبدو من اتجاهها أنها قد تمر قريباً مما يعني أنهم سيلمحونني.. توجست وأنا أترجع منخفضة للأرض لأعود للشجيرة وأختبيء خلفها مستغلة لون ملابسني الذي لا يختلف كثيراً عن الصخور تحتي.. عندما سمعت صوتاً عالياً من جهة أخرى، وعندما التفت رأيت مركبة أخرى تخرج من الغابة عائدة للمباني الإدارية.. شهقت وأنا أرى المركبة في مواجهتي تماماً وقد يرونني في أي لحظة.. عندها ركضت عائدة للشجيرة التي قد تفلح في تغطيتي وارتيمت خلفها قبل أن تقترب المركبة أو يراني الحراس فيها.. وربضت في مكاني وأنا أشتم بحنق بعد أن تسبب سقوطي في تحطم العبوة البلاستيكية وانسكاب ما تحويه من ماء لتغرق ملابسني..

لمحت بعد برهة ما جعل الذعر يغمرنني وأنا أرى السوار الذي أزال المياها جزءاً كبيراً من الطبقة السوداء التي تغطيه وظهر لونه الأبيض أسفلها.. تماكنت نفسي بسرعة ومددت يدي لجيبي لأستخرج الأحجار السوداء منه، والتي أحضرتها احتياطاً لمثل هذه الحالة.. بحثت في جيبي الخالي من أي شيء، وبحثت في الجيب الآخر بيد ترتجف.. لقد فقدت الأحجار.. فقدتها دون أن أنتبه، والآن أنا في ورطة شديدة..

قمت بذعر شديد بمسح السوار لتوزيع الطبقة السوداء التي تعلوه علّها تغطي الأجزاء المكشوفة.. لكنها لم تكن كافية.. انساب العرق على صدغي وأنا أشعر بالهلع يتنامى في صدري.. إلى أين يمكنني الهرب؟ أين يمكنني الاختباء عن أعينهم التي أشعر بها معلقة فوق رأسي.. رأيت الشاشة في السوار والتي كانت مطفأة قبل قليل تومض فجأة حتى كدت أقفز من شدة ذعري، وظللت أنظر لها وأنا لا أعلم ما أستطيع فعله.. حتى شعرت فجأة بشحنة كهربية عالية تسري في جسدي بدءاً من ذراعي وترتجف لها عضلاتي التي فقدت السيطرة عليها.. دام الأمر لحظات معدودة لكنها كانت مؤلمة وأنا أتشنج غير قادرة حتى على إصدار صوت خافت، ثم انقطع كل شيء فجأة وهوى جسدي أرضاً لأفقد الوعي دفعة واحدة..

\*\*\*\*\*